رضية الدين بنت التمش

(602-637 هـ / 1205 1239-م)

وأثرها السياسى والعسكرى فى دلهى

د.م. ورود نورى حسين الموسوى

جامعة القادسية /كلية التربية

الخلاصة :

الابطال هم الذين يصنعون تاريخهم بأنفسهم، ومثلما وجد أبطال في المعارك وجد من الملوك والأمراء والقادة والفرسان والشعراء من الرجال فضلاً عن النساء الذين أوفاهم التاريخ والمؤرخون بعض حقهم ونالوا مكانتهم المميزة في ذاكره المجتمعات الشعبية، بعد أن شاعت سيرهم وحفظت أخبارهم في سجلات المؤرخين وعند الخاص والعام، فان كثيرين غيرهم من المغمورين في التاريخ الذين لا يقلون عن هؤلاء بطولة وتأثيرا ومن هؤلاء الأبطال المغمورين في التاريخ. رضية سلطانه المرأة المسلمة بعد أن حكم أبوها بالعدل،فأنقذها ذلك العدل الذي تعلمتهُ من بطش أخيها بمساندة الشعب. هذا الشعب نفسه الذي ثار عليها ونزع منها ملكها فقط لأنها أحبت وهذا مما كان محرماً على السلطانة الشابة رضية الدين بنت شمس الدين التمش، وذهبت السلطانة الفارسة العادلة ضحية لمؤامرات العرش تاركة وراءها في جزء

من العالم الإسلامي قبراً مهملاً في مكان، وبعض قطع من العملات المعدنية التي تحمل اسمها فضلاً عن ألقابها كأول أمرأة تحكم الهند في عصورها التاريخية، فضلاً عن كفاتها الادارية والعسكرية في تجاوز الكثير من العقبات والتحديات التي واجهت طريقها بعد أن شاركت ميدانياً في سوح القتال، حتى لفتت اليها الانظار فاستعانت بالناس الذين احبوها ليساندها في تجاوز بعض التحديات.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه المنتجبين ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

أن دراسة الادوار تدعو لاتجاهين منها دراسة كليات ذلك الدور والشخصيات التي اسهمت فيه ومن هذا تحتل دراسة الشخصيات أهمية خاصة؛ كونها تكشف عن بعض التحولات التي كانوا يقومون بها في بناء المجتمع،إذ برزت السلطانة رضية في الهند. وسنتطرق خلال هذه الدراسة الى مسيرة حياتها، وأتوقف عند المحطات الرئيسة فيها، والتعرف على الصفحات المضيئة التي مرت بها السلطانة رضية واثرها في تاريخ الهند.

احتوت هذه الدراسة على مقدمة وثلاث مباحث تطرقنا في المبحث الأول إلى سيرتها التي تضمنت اسمها وولادتها ونشأتها واهم صفاتها التي تحلت بها فضلاً عما كانت تتمتع به من الألقاب في الغالب اكتسبها من المهارات التي كانت تتميز بها، بينما شمل المبحث الثاني والدها شمس الدين التمش واثره في بناء شخصيتها القوية باعتبارها الابنة المفضلة لديه، وعمل جاهد على تدريبها لكي تتولى الحكم من بعده. وتناولنا في المبحث الثالث يبين نشاطها العسكري والمعارك التي اسهمت في الحكم واهم الاعمال التي قامت بها السلطانة رضية من خلال ادارتها للبلاد.

وجاءت الخاتمة لتسجل أهم النتائج التي توصلنا اليها في هذه الدراسة التي بينت مدى عظمة شخصية السلطانة رضية من خلال ما خلفته لنا من أعمال أدارية وعسكرية، فضلاً عن الآثار والمسكوكات التي كان لها الأثر البالغ في اضافة قسم من الثقافة التي اسهمت في تطور المجتمع.

المبحث الاول

اسمها ونسبها:

هي رضية بنت شمس الدين التمش ويقال ولِدت سنة (602هـ – 1205 م)، والدتها ابنة السلطان قطب الدين ايبك[1]، وقد حضت السلطانة رضية بالقاب عدة،منها رضية الدين والدنيا[2] وملكة الهند، وعمدة النساء ملكة الزمان، وشهرتها «رضية سلطانة»[3] ملكة من ملكات الهند كانت ذات سلطة ونفوذ وإرادة.

للسلطانة رضية ثلاث اخوان لا ينتمون جميعاً إلى نفس الأم، الامر الذي أثار العداء بينهم وبين أختهم رضية، وهو عداء غذاه وقواه دسائس الأمهات، انطلاقاً من الحريم، وكان ركن الدين أحد أخوة رضية الثلاثة من أبيها، لم يكن راضياً عن توليتها العهد من طرف أبيه، كما كان أكثر الأخوة تعطشاً للسلطة،وإذ كان يُكنُّ حقداً لرضية بسبب قوتها وخصيتها المؤثرة، وانفجر هذا الحقد بعد موت أبيه، ويدفع به إلى مقاومة أخته[4] من خلال الإحداث التي تتذكر في حياة السلطانة رضيه. وهي شقيقة معز الدين[5]،من والديه.

نشأتها وبعض صفاتها:

شعر الأب بسعادة غامرة لمولد ابنته وأمر بإقامة احتفالات كبيرة بمولدها، لأنها أولى بناته بعد أن رزق بالعديد من الأولاد. تنحدر السلطانة رضية من أسرة تركية من المماليك، كان أبوها قد تعهدها برعايته فاختصها بمن يعلمها أصول الدين والفقه والحديث النبوي الشريف اذ قرأت القرآن الكريم وحفظته ثم ألمت

بالفقه الإسلامي. في حين عهد إلى آخرين بتدريبها على فنون الحرب والقتال وحمل السلاح والمبارزة وركوب الخيل،حتى غدت لا تقل شأنا عن إخوتها في العلم والسياسة وفنون الحرب،فنشأت راجحة العقل وفارسة في ذات الوقت، فضلاً عما اشتهرت به من الحسن والجمال البارع(6).

اشترك الأب في تعليم وتدريب ابنته بنفسه وعندما بلغت رضية عامها الثالث عشر، أصبحت راميةً وفارسةً بارعةً وصاحبت أبيها في ما بعد مرات عدة، لاسيما في حملاته العسكرية(7).

كانت رضية سلطانة موهوبة وحكيمة وشجاعة ومحاربة عظيمة تم تدريبها على قيادة الجيوش وإدارة الممالك كلما اقتضت الضرورة. بعد ان تولت رفضت أن يطلق عليها لقب)سلطانة(كونها حاكمة، لأن الكلمة تعني زوجة أو شريكة السلطان، وأصرت أن يطلق عليها لقب (سلطان) تولت السلطة في 18 ربيع الأول 634هـ(8) كانت السلطانة رضية تمتلك كل الصفات التي تؤهلها لتولي الملك وإدارة شؤون المملكة. فكان والدها شمس الدين اذا تغيب في حروبه ينيبها عنه في إدارة أعمال حكومته مفضلاً إياها على أبنائه الذكور(9). وكانت قد تدربت في حياة والدها على تنظيم الدولة وتولي شؤون الجيش وكان يعدها والدها لتكون ولية العهد. ولما سأله أمراؤه لماذا اختار ابنته بدل أحد أبنائه في نيابة المملكة أجاب: أن أولاده انهمكوا في الشرب واللعب فإدارة المملكة صعبة عليهم أما رضية بيكم فمع أنها امرأة لكن لها عقل وقلب رجل(10). وعلى الرغم من أنها قامت بإصلاحات مهمة في الحكومة، إلا أنها لم تستطع في النهاية التوفيق بين كونها امرأة مسلمة إذ كانت السلطانة رضية تملك كل الصفات التي تؤهلها لتولي السلطة وإدارة شؤون المملكة.

فضلاً عن ذلك فأنها من أكثر الشخصيات الرومانسية في تاريخ دلهي نظرا لعلاقتها مع عبد حبشي كان قائد عسكري في جيها سيأتي تفصيلها لاحقا.

نشأت رضية الدين مدللة في حجر أبيها السلطان شمس الدين الذي كان لديه أربعة من الأولاد، ثلاثة ذكور وهم: ركن الدين، ومعز الدين، وناصر الدين والابنة

الوحيدة هي رضية الدين الذي كان يحبها حباً شديداً دون إخوتها لما رآه فيها من رجاحة العقل والحكمة والدهاء والصلاح[11].

كانت تتحلى بالعديد من الصفات منها حكيمة وشجاعة وعادلة فاضلة،فضلاً عن انها كانت تركب الخيل، لاسيما بالقوس والكنانة والقربان، كما كان يركب الرجال، وكانت «لا تستر وجهها [12]"

وبينما كان أبوها يتم إعداد مرسوم بتسمية رضية ولية للعهد، عبر العديد من النبلاء والاشراف، فضلاً عن رجال الدين عن تحفظهم على تلك الخطوة.وتجاهل التمش كل تلك الاعترضات قائلاً:»إن أبنائي منغمسون في متع الشباب ولا يمتلك أي منهم القدرة على إدارة شؤون البلد.سيدرك الناس بعد موتي أنه لم يكن أي من أولادي صالحاً لخلافتي أكثر من أبنتي رضيةً».

إذ كانت تتعلم في كل ما يقوم أبيها،جعلت من ابيها مثلها لاعلى، كما كانت هي إليه مُحَبَّبة، وقد تحقق ما كان يراه أبوها ولا يراه سواه لاسيما ممن كانوا يعترضون عليه، فما إن آلت إليها السلطنة حتى دلّت على ما تتمتع به من صفات، الامر الذي جعل مؤرخي يطلقون عليها اسم (ملكة دوران بلقيس جهان [13]) أي فتنة العالم.

والدها شمس الدين التمش:

هو الملك المؤيد المظفر شمس الدين الأيلتميش بن أيلم خان الألبري التركماني، القطبي، السلطان الصالح، الذي يعد المؤسس الحقيقي لدولة المماليك في الهند[14]، وهو في الأصل مملوك جلب في صغر سنه الى مدينة بخارى، فأشتراه الحاج البخاري، ثم اشتراه الحاج جمال الدين، فسار به الى غزنة ثم الى دهلي، فأشتراه الأمير قطب الدين أيبك[15]،ورباه في مهد السلطنة، وقد كان شمس الدين شديد الاخلاص والحماسة لسيده،وحظي بثقته ؛ حتى أن قطب الدين أيبك أعتقه وزوجه بابنته ملكة جهان[16] مكافأة على إخلاصه[17]. وقد مكنتّه مواهبه العسكرية الفائقة من تولي المناصب الكبيرة،فولاه رئاسة حرسه،ثم عهد إليه بإدارة بعض الولايات الهندية. فأقطعه) كواليار (بعد تسخيرها، ثم أقطعه بدايون وما والاها من

البلاد[18]. وبعد أن أغتيل السلطان الغوري في سنة(602هـ1206 / م(ولم يعين وريث له أعتلى قطب الدين أيبك في(15 ذي القعدة 602ه (عرش دلهي وفي عهده دشن عصر دولة المماليك في الهند، ولكن القدر لم يمهله طويلا، إذ سقط صريعاً من فوق صهوة جواده سنة607)هـ 1210/م) [19] وخلفه في الحكم أبنه آرام شاه وكان شاباً صغيراً لايستطيع القيام بعبء الملك وتدبير شؤون المملكة، لذا عجز عن إدارة شؤون الدولة، فأستدعى رجال الدولة ألتيمش وكان يلي حكم أحد الأقاليم الهندية، وطلبوا منه أن يلي السلطنة، فقدم إلى دهلي، وطرد آرام شاه منها، وتربع على عرش السلطنة سنة 607)هـ1211 /م). [20]

وأخذ الناس بالبيعة له فأتاه الفقهاء يقدمهم قاضي القضاة، إذ ذاك وجيه الدين الكاساني، فدخلوا عليه وجلسوا بين يديه، والقاضي إلى جانبه على العادة وفهم السلطان عنهم ما أرادوا أن يكلموه به فرفع طرف البساط الذي هو جالسٌ عليه وأخرج لهم في تلك الساعة عقداً يتضمن عتقه لان العبد لا يحكم الاحرار،فقرأه القاضي والفقهاء وبايعوه جميعاً على السلطنة وأستقل فيها بالملك، وكانت مدة توليتهُ عشرين عاماً. إذ كان عادلاً صالحاً فاضلاً. [21]

وما إن أمسك التمش بمقاليد الأمور في البلاد حتى كشف عن كفاءة نادرة وقدرة على الإدارة والتنظيم، ورغبة في إقامة العدل، لاسيما باعادة الحقوق وإنصاف المظلومين، فينسب إليه أنه قام بتأسيس مجلس من كبار أمراء المماليك عُرف باسم الأربعين لمعاونته في إدارة البلاد وهو أشبه بناظر المظالم[22]، وقد عاصر «التمش» اجتياح المغول[23] المدمّر سنة(617 هـ 1121/م(لما حولهم من البلاد بقيادة زعيمهم جنكيزخان، عندما غزوا البنجاب الغربية[24]. غير أن المغول انسحبوا سريعا من الهند، واتجهت أبصارهم نحو الغرب ؛ فنجت بلاد التمش من الخراب والدمار، في حين تكفّل هذا الإعصار المغولي بالقضاء على أعداء دولته في الشمال؛ الأمر الذي مكّنه من توسيع رقعة بلاده على حساب الراجبوت حكام شمال الهند[25]. على أن يستعيد جميع ممتلكات سيده)قطب الدين

أيبك(في شمال الهند وبهذا تمكن من اكتساب حكمة الصفة الشرعية حينما أرسل إليه الخليفة العباسي المستنصر بالله[26] تقليداً بحكم الدولة الإسلامية في الهند عام) 626 هـ- 1228م ،(إذ لقبه)) ناصر أمير المؤمنين، حامي الإيمان ((وقدم الخليفة العباسي في الخطبة والسكة على نفسه[27]، الامر الذي جعله يبرز الألقاب التي منحها له الخليفة على العملة الفضية العريضة التي سكها. ومما لاشك فيه أن أعتراف الخليفة العباسي بسلطان دلهي التمش أكسبه محبةً وتقديراً واحترام من رعاياه، لاسيما المسلمين[28].

تميز بالعدل وله مآثر حسنة،ومناقب كثيرة ومشهورة،ويُعدُّ من أوائل الذين أسَّسوا دولة المماليك بشبه القارة الهندية،إذ اشتهر بإنصاف الضعفاء من الناس واحقاق الحق لشريحة المظلومين،فضلاً عن نشر العدل في ربوع مملكته قاطبة، روى قسم من المؤرخين عنه أمور عدة منها: أنه كان قد أصدر مرسومًا: بأن يلبس كل مظلوم في مملكته ثيابًا مُلَوَّنة وكان أهل مملكته الهندية جميعًا يرتدون الثياب البيضاء،وكان يخرج بنفسه ليتفقد أحوال رعيته،فإذا رأى أحدًا يرتدي ثوبًا ملونًا،نظر في قضيته فورًا وأنصفه ممن ظَلَمه، وكذلك كان يفعل إذا عقد مجلسه للحكم[29]. كما أن السلطان بلغ من عدله أنه قال ذات مرة: إن بعض الناس تجري عليهم المظالم بالليل، وأريد تعجيل إنصافهم؛ فجعل على باب قصره: أسدين مُصَوَّرين من الرخام،موضوعيَن على بُرْجَيْن هنالك،وفي أعناقهما: سلسلتان من الحديد فيهما جرس كبير، فكان المظلوم يأتي ليلاً فيُحرِّك الجرس، فيخبر به السلطان الامر الذي جعله ينظر في امره،اذ يقوم بانصافه من فوره[30].

توفي والد رضية السلطان شمس الدين التمش في(18 شعبان 633 هـ-1235م(بعد أن وطد نفوذه وسلطانه بدولة المماليك في الهند[31]، وخاض في سبيل ذلك حروباً كثيرة ضد خصومه الذين حاولوا انتزاع بعض بلدان دولته، ولذلك يمكننا القول بأن السلطان التمش هو المؤسس الحقيقي لسلطنة دلهي المملوكية[32].

المبحث الثاني

دورها السياسي:

لم يكن التمش يستشعر أية عقدة من جراء الاعتراف بقيمة المرأة، فالعدل والكفاءة في رأيه أمران مهمان ومتلازمان، وهنا يكمن فهمه الأساسي للأسلام الذي سار عليه، وبما انه كان شديد التدين،فلم يكن مهماً في رأيه، إذا قارنا بين ضعف شخصية ركن الدين ومواهب رضية.

وعند وفاة التمش يكون قد بقى من عمر سلطنة المماليك في دلهي ثلاثين سنة، أثقلت المشاكل كاهلها وفي النهاية عصفت في النهاية بذلك الصرح الضخم والحب السرمدي للمجتمع في دلهي بعد أن بذل التمش جهوداً كبيرة في سبيل تشييده. ومن الأمور التي أضعفت هذه الدولة عجز السلاطين الذين خلفوا التمش عن إدارتها ومن الجدير بالذكر فإن من الأمور،فضلاً عن المنازعات الشديدة التي قامت بين كبار رجال الدولة حول الاستئثار بالسلطة[33].

ففي أثناء حكم شمس الدين ألتمش كان يتم إعداد مرسوم بتسمية رضية ولية للعهد، عبَر العديد من النبلاء والوجهاء عن تحفظهم على تلك ذلك القرار، إذ تجاهل التمش كل تلك الاعتراضات قائلاً: « إن أبنائي غير قادرين على القيادة، ولذلك اخترت أن تتولى ابنتي الحكم بعدي «[34].

يمكن القول مما تقدم ان السلطانة رضية كانت لها مؤهلات عدة تمكنها من قيادة الدولة، سواء أكانت صحة في الرأي والحكمة في اتخاذ القرارات، أن السلطان التمش عرف بحبه لرضيه.

ولما توفي أبوها شمس الدين التِمش تجاهل النبلاء وعُلية القوم في المملكة وصيته وقاموا بتنصيب أبنه الأكبر: ركن الدين فيروز شاه على عرش دلهي،وعلى الرغم من ذلك،فإن الملك الشاب،بعد أن تولى مقاليد الحكم، هجره ساعياً وراء الملذات الحسية والأهواء الماجنة[35]. وثار غضب الناس عليه عندما رأوه يركب

فيلاً عبر الأسواق ملقياً بالعملات الذهبية التي قام المارة بالتقاطها في صخب. فأساء وتعدَّى وظلم ولم يَنْهَج نهج أبيه في العدل بين الناس وإنصاف الضعفاء، فأهمل أمر البلاد وانتشر الظلم في عهده وغضب عليه الناس الامر الذي ادى الى غضب مجلس الأربعين وهو مجلس استشاري من المماليك، كان يساعد ألتمش في حكم البلاد، وشرعَ أخوه معز الدين في محاولة عزله ولكن فيروز فطنَ له وقتلهُ. وعند تلك اللحظة الفارقة في تاريخ الدولة المملوكية بالهند لمعَ أسمَ رضية الدين أخت ركن الدين فيروز والأبنة المفضلة لدى والدها ألتمش، حتى إنه قرر في أن يعهد إليها بالعرش من بعده لرجاحة عقلها وإلمامها بالعقيدة الإسلامية فضلاً عن الفقه وعلومه [36].

مهد هذا الموقف الطريق أمام تدخل الحريم ومنهن تركان شاه، أم الملك، وهي أمرأة حقودة وضيعة النشأة، دفعها ذلك الى افعال سيئة لاسيما في الحكم، لذلك حدثت في الدولة الكثير من القلائل والمشاكل والفتن ،إذ رأى حكام الملتان[37] ولاهور وهانسي وبداون وأوده على إنهاء هذا الحكم الذي يرونه فاسداً وتحركوا إلى دهلي فعلاً ،وقد بدأت في تنفيذ مخطط للقضاء على جميع المنافسين المحتملين على العرش[38]. إذ كان الضحية الأولى هو الأمير الصغير معز الدين بهرام،الذي أعدم بطريقة وحشية،وعندما أحسَّ أن هناك مؤامرة تقوم ضده بزعامة أخيه) معز الدين(قام من فوره وحشد الحشود،ثم قبض على أخيه ومن معه،إذ ضربهم بسيفه وشفى منهم غيظه فضلاً عن ذبح أخاه بيده وكان هو الذي تولَّى كِبْر مقتله فكرهه الناس وبغضوه،وتمنُّوا لو أزالوا دولته وقتلوه لكنهم لم يكونوا يجرءون على ذلك لما يخشونه من بطشه وانتقامه الغاشم على الناس. وهنا قامت رضية الدين في مواجهة أخيها القاسي لهم وللرعية،وظلّتْ تعظه وتحذِّرُه من عاقبة تلك السياسة الدَّمَويَّة التي أرْدَتْ بقتل أخيها لكن السلطان ركن الدين لم يعبأ بكلام أخته، ولا كاد يُنْصتْ لها أصلاً بل كاد أن يبطش بها هي الأخرى حتى يتمَّ له أمرُه،ويَسْتَتِبَّ مُلْكُه وحكمُه فأخذت تسعى رضية الدين لعزل فيروز بمعاونة مجلس الأربعين، ولكنه ألقى القبض عليها وراح يمهد لقتلها، فَخَشيتْ رضية الدين على نفسها، وكانت

أكثر دهاءا منه[39]. لاسيما بعد خلع أخيها ركن الدين فيروز شاه وهي خامس ملوك دولة المماليك بالهند،إذ حكمت رضية قرابة ثلاثة أعوام ونصف(634-637هـ1236- 1240/م) خلفاً لأخيها ركن الدين فيروز[40]، وهي من سلالة المسلمين ذوي الأصول التركية الذين غزوا الهند في القرن السابع الهجري/ الحادي عشر ميلادي، كما انها هي المرأة الوحيدة في التاريخ التي تم تتويجها بسلطنة دلهي وأول حاكمة مسلمة أيضا في جنوب آسيا حينذاك.

قررت بعدها رضية توجيه ضربة مضادة. وعَمَدتْ إلى مفاجأة أخيها الظالم بتقاليد تلك العدالة التي كان أرساها أبوهما في حياته، وفعلت أمراً لايتوقعه أحد ففي يوم الجمعة، مكثتْ حتى حان وقت صلاة الجمعة، قررت أن تُذيق أخاها الفاسد القاتل مِنّ تلك الكأس التي شرب منها أخوهما المقتول.

فصعدتْ إلى سطح القصر القديم المجاور للجامع الأعظم في مدينة دهلي) دلهي ،(وهي تَرْتدي ثيابًا ملونة تذكيراً ما كان يفعله العامة من الناس؛ لكي يُعرف بأنها مظلومة ومقهورة، واستوقفتِ الناس وخاطبتْهم من مكانها أعلى السطح وهي ترفع عقيرتها قائلةً: هذا أخي قتَل أخاه،يريد قتلي معه، وجعلتْ تُذكِّر الناس بأيام أبيها العادل، ومآثره، وما فعله من أجل رعاياه في المملكة من الإحسان إليهم،والرفق بهم، وناشدت المصلين المجتمعين في المسجد باسم أبيها أن يساعدوها ضد المخططات الشريرة التي تحيكها لها زوجة أبيه[41].

ذكر أحد الحداثيين بما نصه[42]: " أصبح الملك عبداً للمجون والفجور» الامر الذي مهد هذا الطريق أمام تدخل أم الملك تركان شاه، والتي كانت امرأة شديدة الغيرة والحقد والاستبداد، إذ بدأت في رسم وتنفيذ مخطط للقضاء على جميع المنافسين الذين تتوقع منهم قوة لقيادة المملكة والسيطرة على العرش في شبه القارة.لذلك اصبحت السلطانة رضية الدين تفكر في استلام مقاليد الامور والسير على نهج والدها في إنصاف المظلومين ونبذ النظام الطبقي. لذلك تفوقت على جميع افراد العائله تخلت عن ملابس النساء وارتدت ملابس الرجال وتسلحت في

مجلسها بالقوس والسهم ووضعت قلنسوة الفرسان على رأسها بعد أن عمدت لشعرها الطويل فقصته» قصت شعرها وارتدت زي الرجال، وهكذا اعتلت العرش " [43].

ذكر ابن بطوطة أن خطبتها قد أثارت مشاعر المسلمين بشدة فحرَّكتْ كلماتُ الأميرة المظلومة الخائفة على مجتمعها لاغلب المصلين، وكأنها طعنتْ برماح صراخها في أكبادهم لدرجة أنهم ثاروا بعد ان عرفوا الحقائق،وقاموا باحتلال القصر الملكي وقبضوا على السلطان ركن الدين وهو يرتجف خوفًا ثم ساقوه إلى أخته التي كانت شراراتُ الغضب تتطاير من تحت جفون عينيها فنادت فيهم قائلة بأعلى صوتها) القاتل يُقْتَل (فامتثل الجميع لأمرها،وقاموا بقتل السلطان قصاصًا كما قتل أخاه،وكان ذلك بعد ستة أشهر من توليه الحكم[44].

أجتمع الناس لاسيما النبلاء والاشراف وفكروا في من يتولَّى زِمام المملكة بعد ركن الدين فعمدوا إلى أخيه الأصغر ناصر الدين فوجدوه طفلا صغيرا لا يحسن تدبير أمر نفسه فكيف بإمكنه تدبير أمور المسلمين ثم اتفق الرؤساء والوجهاء منهم على مبايعة رضية الدين سلطانة عليهم لتكون الإمبراطورة الجديدة كما أراد أبوها[45].

ويبدو أن الطريقة التي وصلت بها إلى رضية الدين الى السلطة قد أثارت حنق النبلاء الأتراك بشكل كبير، واعتبر هؤلاء النبلاء أنفسهم صانعي الملوك السابقين، ولكن في حالة رضية الدين تكفل عامة الناس بتنصيبها على العرش. واستشعارا باحقيتها لما تتمتع به من صفات، أدى بعض منهم قسم الولاء لرضية،بينما تمرد الآخرون عليها وفرضوا حصاراً على مدينة دلهي[46]،فارتفعتْ رضيةُ الدين على عرش البلاد في عام 634)هـ 1236/ م وكان يوم تتويجها سلطانة المملكة يوما مشهودا بين الناس، إذ لم يعرف التاريخ الإسلامي أن امرأة حكمت الهند قبلها،وظلت تحكم البلاد حتى وفاتها عام(637 هـ 1239/ م).

سيرتها في الحكم:

بذلت ما في وسعها من طاقة لتنهض بالبلاد التي خوت خزائنها من المال لإسراف أخيها،كانت السلطانة رضية الدين في أول أمرها قد سارت على خطا أبيها في سياسته الحكيمة العادلة،لنشر العدل بين الناس،ورفع الظلم،وفتوح

البلدان،وإرساء قواعد الأمن والسلام في جنبات مملكتها.

غير أن هذه السياسة لم تلق ترحيباً من قسم كبير في سلطنتها الذين أنفوا أن تحكمهم امرأة،فأرادت أن تثبت لهم أنها لا تقل عنهم في شيء، فتخلت عن لباس أنوثتها وسرعان ما أنساها الحكم أنها لا تزال امرأة فحدَّثتْها نفسها بعزائم الرجال كي تستطيع أن ترْدَعَ كلَّ من يحاول تهديد نظام حكمها.

يبدو ان السلطانه رضيه لم ترتدي زي الرجال لقيادة الحملات العسكرية فحسب، ولكن للمحافظة على الاتصال بالمجتمع((كانت تتجول في الأسواق مرتدية زي الرجال،وتجلس بينهم، تستمع الى تظلماتهم)) (47).كي تشعرهم بأنها قائد يهمه حماية وحفظ المجتمع من كل ما يلحق بهم من سوء لفرض القانون الذي يأمله المجتمع.

لكن بعض الفقهاء وايضاً فرسان مجلس الأرعين لم يرق لهم أن تحكمهم امرأة لاسباب عدة فشرعوا في النيل منها ومحاولة وضع شقيقها الصغير)ناصر الدين(مكانها على العرش، ونجحوا في ذلك بالفعل ولكنها نجحت في استرداد عرشها مدة أخرى من دون أن تتعرض بالأذى لناصر الدين لكونه ألعوبه بأيدي كبار العسكر وبسبب نشاطات النبلاء المعادية لها، وهنا توجه خصومها للتعريض بها أمام الناس وأشاعوا أنها على علاقة غير شرعية مع عبد لها عينته مسؤولا عن الأصطبلات السلطانية،وكان يقال له جمال الدين ياقوت وهو حبشي أو فارسي الأصل، رقته بسرعة من رتبة مير أخور إلى مرتبة أمير الأمراء(48).

فاغتاظ الامراء وزادهم حنقتاً لذلك فكروا كثيراً ثم أخذوا يتجسسون لمعرفة السر في هذه الترقي السريع حتى تحققوا ان السلطانة تستأنس كثيراً بياقوت ومنعت عنه التكليف، فإذا أرادت ان تركب جوادها تقدم ياقوت ورفعها من تحت ابطها«فوضع يديه تحت إبطيها لكي يركبها الفرس» (49) فذاعت هذه الاخبار بين الناس فاتهموها بانها لاتحترم الاخلاق، لاسيما الاسلامية، وتتيح لعبد أن يلمسها، وبذلك حقق أعداؤها مرادهم، فاتفق النبلاء والعسكر وكثير من الناس على خلعها وتزويجها من

بعض اقاربه [50].فقد كان الأمر الوحيد الذي أساء إليها فوقعتْ في حب عبدٍ مملوك حبشي يُدّعى: جمال الدين ياقوت وكان (أميرَ الخيول) في أنحاء الديار،ولم تعد علاقتهما سرا في بلاط دلهي، والسلطانة امرأة غير متزوجة بعد. وصارتْ أخبارها مع عبدها ياقوت هي حديث الناس والعامة،وقضية العصر الطامَّة[51].

جلست رضية على عرش سلطنة دلهي نحو ثلاث سنوات ونصف(634-637هـ/1236-1369م) كما اسلفنا، وأول ما قامت به هو محاولتها النهوض بالبلاد وتوفير لعيش الكريم للعباد، لاسيما ن خزائن المملكة قد خوت من المال التي لأسراف أخيها[52]، وسارت على خطا أبيها في سياسته الحكيمة العادلة ولم تبذر أموال المسلمين، لكنها اصطدمت بكبار النبلاء فضلاً عن الأمراء الذين يشكلون جماعة الأربعين، ويستأثرون بالسلطة والنفوذ، وحاولت الملكة رضية جاهدة أن تسوسهم وتحتال على تفريق كلمتهم[53] بغية السيطرة على الاوضاع السائدة أنذاك..

المبحث الثالث:

إعمالها:

جلست السلطانة رضية الدين على عرش سلطنة دلهي نحو ثلاث سنوات ونصف (634-637هـ 1236-1240/م(تقريباً وأعلنت ولاءها للخليفة العباسي ببغداد المستنصر بالله[54]. وضربت النقود لاسيما عملات الذهب والفضة والبرونز باسمها، فنقشت على نقود الذهب والفضة اسم الخليفة العباسي المستنصر بالله، فضلاً عن اسمها وألقابها التي جاءت على هذا النحو عمدة النساء ملكة الزمان السلطانة رضية الدين بنت شمس الدين ألتمش.أما على النقود البرونزية،فقد اكتفت بنقش اسمها وحدها السلطانة المعظمة رضية الدين بينما شغل الوجه الثاني للعملة بزخارف هندية تقليدية.

أن ما وصلنا من عملات رضية الدين ليس سوى قطع قليلة ونادرة،وربما كان لسبب في ذلك قصر المدة التي حكمت فيها البلاد وهي اقل من اربع سنوات

634-637)هـ(، ولكن هذه العملات على ندرتها تؤكد على أنها كانت ملكة كاملة الصلاحيات والرسوم من خلال تدبير شؤون المملكة.

اتبعت طريقة ابيها في رد المظالم الذي امر ان يلبس كل مظلوم ثوبا مصبوغاً، واهل الهند يلبسون البياض.فكانت متى قعدت للناس او ركبت فرأى احداً عليه ثوب مصبوغ، نظر في قضيته وانصفه ممن ظلمه[55] .

ومن محاولاته لتطبيق العداله ومساعدة المظلوم،قرر أن يضع جرساً أمام باب القصر فجعل على باب قصره أسدين مصورين من الرخام، موضوعين على برجين هناك وفي عنقهما سلسلتان من الحديد فيهما جرس كبير، فكان المظلوم يأتي ليلاً فيحرك الجرس، فيسمعه السلطان وينظر في أمره للحين وينصفه[56] .

وقررت رضية من ان تحصل على معونة المجتمع للانتقام لأخيها المقتول ظلماً، وتنحية ركن الدين الذي كان يهددها بالقتل، لذا فقد ارتدت الزي الملون الذي يرتديه ضحايا الظلم، وبينت ما لحق بها من ظلم، وتوجهت يوم الجمعة عند اجتماع المؤمنين بالمسجد لتنفيذ خطتها، لانها كانت في حاجة إلى إعلان الأمر،وحين خرج ركن الدين من القصر متوجهاً نحو المسجد صعدت رضيه إلى السطح وتناولت الكلمة مرتدية زي المظلومين ذكر احد الحدثين ما نصه:«خرج ركن الدين إلى الصلاة، فصعدت رضيه على سطح القصر القديم المجاور للجامع الاعظم، وهو يسمى)دولة خانة(ولبست عليها ثياب المظلومين، وتعرضت للناس وكلمتهم من أعلى السطح،وقالت لهم:إن أخي قتل أخاه وهو يريد قتلى معه، وذكرتهم بأيام أبيها، النافعة لهم وفعله الخير وإحسانه إليهم، فثاروا عند ذلك على السلطان ركن الدين وهو في المسجد، فقبضوا عليه وأتوا به اليها، فقالت لهم القاتل يقتل، فقتلوه قصاصاً بأخيه»[57] .

ويبدوا ان السلطانة رضية قد نجحت في اثارة مشاعر الناس لدرجة أنهم قاموا باحتلال القصر الملكي وخلع الملك وتنصيبها لتكون الامبراطورة الجديدة كما أراد أبوها، الا ان لك لم يكن مقبول من قبل النبلاء الامر الذي ادى الى اثارة

حنقة النبلاء ألاتراك بشكل كبير، فذهبت ضحية لمؤامرات العرش تاركة وراءها في عالم الفن الاسلامي قبراً وبعض القطع من العملات التي تحمل اسمها وألقابها كأول أمرة تحكم الهند في عصورها التاريخية[58].

ولما استقرت أحوال مملكتها انصرفت إلى الرعية، فضلاً عن تنظيم شئونها، فعينت وزيراً/ جديداً للبلاد، وفوضت أمر الجيش إلى واحد من أكفأ قادتها هو سيف الدين أيبك، ونجحت جيوشها في مهاجمة قلعة «رنتهبور» وانقاذ المسلمين فيها[59] فكان الهنود يحاصرون القلعة بعد وفاة ابيها السلطن التمش ويبدوا ان هذه السياسة لم تلق ترحيباً كبيراً، لاسيما من مماليك سلطنتها الذين رفضوا أن تحكمهم، وزاد من بغضهم لهذا الامر ان السلطانة قربت اليها رجلاً فارسياً يدعى جمال الدين ياقوت، فضلاً عن ذلك فلم تستطع السلطانه من ان تسكت حركات التمرد التي تقوم ضدها،وحاولت ان تقمعها بكل شجاعة لكنها هزمت وانتهى الامر بمقتلها وتولية اخيها السلطان معز الدين عرش البلاد.

ومن جانب اخر فان السلطانة رضية كانت على علاقة هامشية بالنساء، على الرغم من أنها أمرأة الا انها لم تتعلم تقاليد سلوك النساء في المجتمع الإسلامي الذي ولدت فيه. بسبب طموحها وحتى قبل أن تصبح سلطانة للبلاد وكونها كانت دائما مشغولة بشؤون، لاسيما في الولاية في عهد أبيها. وفضلاً عما تقدم وبصفتها سلطانة فقد كانت رضية تفضل ارتداء الأردية الطويلة وأغطية الرأس الخاصة بالرجال. وخلافا للتقاليد كانت تركب بالقوس والتركش[60] والقربان كما يركب الرجال ولاتستر وجهها،والقلنسوة على رأسها ذكر ابن بطوطة أنها عمدت إلى شعرها الطويل فقصته تشبها بالرجال. وأخذت تخوض الحروب وهي على متون الأفيال العملاقة كما كان يفعل ملوك ذلك الزمان أنذاك في شبه القارة الهندية [61].

أثبتت رضية بكل المقاييس والدلائل صواب إيمانورجاحة عقب لما تميزت به من شدة أبيها. فقد كانت شديدة الدهاء، ومع كل جمالها الأنثوي،كانت حاكمة مستبدة،إذ أبقت النبلاء في أماكنهم وينظرون اليها بهيبة القائد الشجاع. كان

الجيش والناس في دلهي موحدين خلف الملكة.الامر الذي جعلها تحشد كل الدعم الذي تستطيع حشده لمواجهة انقلاب العديد من حكامها، لاسيما الأقوياء ضدها. وأثبتت رضية حكمتها الكبيرة خلال تعاملها مع هؤلاء الحكام.وكما كانت تتوقع فقد رأى أخوها ناصر الدين منزلة أخته رضية دبر لها المكايد سراً واتفق مع بعض من أعيان البلاد وحكامها على خلعها وقادة من العسكر. فوافقه على ذلك كل من الوزير نظام الملك جنيدي والأمـراء علاء الدين خان وسيف الدين كوشي وعز الدين سلار وخبير خان. فوحد هؤلاء القادة والأمـراء قواتهم وكلمتهم في لاهور وتقدموا بجيوشهم إلى دهلي للقضاء على السلطانة رضية. فلما سمع ملك نصير حاكم أود بجموعهم جمع جيوشه وتقدم لمقابلتهم مدافعاً عن دولته وملكته رضيه فعبر نهر الكنج ولاقى جنود المتآمرين فهزموه ألا انه وقع في أيديهم أسيرا.ثم قضى نحبه بعد ذلك بقليل(62). وأما الملكة رضية فقد أخذت تشتغل لاستمالة قلوب الأمـراء المتآمرين عليها وتفريق كلمتهم. فنجحت في عملها نجاحاً عظيماً وتم لها ما أرادته من تفريق شملهم واضعافهم بطرق شتى فرجع كل منهم الى البلاد التي يحكمها ظناً منهم بان الامر سينتهي الى حد ما. إذ لحقت جنود السلطانة بجنود المتآمرين فشتت شملهم وهزمتهم شر هزيمة، فمثلت بقوادهم قتلاً وأسراً وتشريداً(63). وقادت حملتها ضد(مالك اياس سنة) ٦٣٧ ه/ ١٢٣٩م(وجاءت هذه الحملة بقيادة السلطانة رضية، وتمكنت من إلحاق الهزيمة بجيش مالك اياس حاكم مدينة الملتان، وضمت الملتان إلى سلطانها من جديد كما احتلت مدينة (تبرهنده) سنة (٦٣٧ ه/ ١٢٣٩ م) حيث شنت السلطانة رضية حرباً ضروساً ضد (تبرهنده) والتي نجحت فيما بعد من السيطرة عليها وإعادتها إلى ملكها(64).

بعد هذه التطورات وهبّ قسم قسم منَ الفقهاء والعلماء من مضاجعهم،وقاموا من غَمّرة غَفّوتهم وغفلتهم،وجعلوا يُردِّدُّون على المنابر قول النبي محمد (ﷺ): (لن يُفلِح قومٌ وَلَّوا أمَرَهُم امرأة)(65) وبدأت حملات الغضب والتمرّد تُبَيَّتُ للسلطانة بليّلٍ دون شعورها حتى وصل الامر الى وزير البلاد مع قادة الأمراء،ورؤوس الفرسان علىَ خَلّع السلطانة،وتَوّلِيَة أخيها الصغير ناصر الدين بهرام شاه ،الذي كان عمره

سبعة عشر، فأختار (بالبان) أحد مماليك أبيه الشجعان وزيراً له، فأبدى من الكفاية والمقدرة وحسن تدبير الأمور،وبعد هذا آلتامر دخل بيت المملكة ماجعله الحاكم الفعلي للبلاد[66].

وفي ليلة انقضَّ الجميع على السلطانة، وفي ليلة وهي في مخدعها نائمة قبضوا عليها وزجُّواً بها في غياهب السجون أيامًا ولَيَالٍ عدة،حتى عانت الآلآم ومواجهة الاهوال من أناس كانت لهم سخية.

لكنَّ السلطانة اهتدتْ إلى أن تُرْسِل إلى حاكم مدينة)أود(تستنجده لنصرتها،وتسْتَعْديه على أخيها وأمراء دولتها الذين غدروا بها،وكأنها كانت تَعِدُهُ بوصالها،والزواج منها لما تميزت من جمال وخصال المرأة الشجاعة، وحينما وصلت الرسالة إلى حاكم) أود (لم يتردد كثيراً بل جيِّش الجيوش لنصرتها،وحشد الحشود،وهبَّ من ساعته لتخليص سلطانته من أسرها،وتأديب قُوَّاد جيشها الذين تأمروا عليها والناس ترضى عنها وعَبَرَ نهر الكنج،ولما علم السلطان والامراء استقبلوه السلطان ناصر الدين وأمراء مملكته بجيوش لا قبَل له بها،والْتَقَى الجمعان في معركة شرسة تمخَّضَتْ عن عشرات القتْلَى،ومئَات الجرْحَى ووقع حاكِم) أود (مِنْ على فرسه أسيراً جريحاً، ولم يلبثْ حتى قضى نحبه[67]، ولما أُخْبِرَتْ السلطانةُ رضيةُ بذلك، فلم تضعف كواهلها بل ما لانتْ لها عزيمة ولا خارتْ لها شكيمة ولجأتْ إلى استخدام سلاح آخر كانتْ قد أغفلتْه من حسابها،وأسقطتْه من قائمة أفكارها[68].

إذ قامت السلطانة وانتقمت من المتمردين لكنها تركت أخاها الصغير ناصر الدين دون أن تصُبَّ عليه سوط عذابها،لمعرفتها بكونه كان دُمْيةً في تلك الأيادي الخبيثه، ولم يكن هناك شيء يستطيع إيقاف السلطانة رضية عن أن تصبح أحد أهم الحكام في تاريخ سلطنة دلهي.

ومن الجدير بالذكر إن فكرة علاقة امرأة من أصل تركي خالص بعبد آشوري هددت احتكار طبقة النبلاء الأتراك للحكم. فدبر الأمراء الترك مؤامرة للتخلص

منها، ولم تنته متاعب رضية عند هذا الحد، اذ أعلن حاكم البنجاب الثورة، فسحقت رضية تمرده. أما اختيار الدين ألتونيا حاكم بهاتندا، فقد رفع هو الآخر راية العصيان فانضم إلى المتمردين من حكام الأقاليم الأخرى الذين رفضوا قبول سلطة رضية. وجاءوا بجيوش جبارة وجرارة معلنين الثورة عليها في عام (637هـ1239/م (وقادت رضية جيشاً لمحاربته، وبينما هي في الطريق لملاقاة حاكم: (بتهندا) وسائر الثائرين معها حدث ما لم يكن في الحسبان، إذ انقلب جيش السلطانة عليه وامسكوا على عبدها ياقوت وهو شاهر سيفه يدرأ به عن ملكته فضربوه ضربة رجل واحد، لاسيما من الحاقدين عليه وعلى ملكتهم من المقربين لها،ثم أخذوها أسيرة ذليلة وسلَّموها إلى حاكم: (بتهندا) الذي أخذها معه إلى بلاده،وأودعها سجن قلعته الحصينة. وبينما هي بعيدة عن العاصمة، وعندما علم الأمراء والاترك بهذا الأمر اعلنوا عزلها من المملكة وولوا بدلاً منها معز الدين بهرام ابن التمش(69).

ولما ولي الشاب ناصر الدين سلطنة دلهي لم يستطع الانفراد بالحكم لضعفه وقلة حيلته بل أضطر إلى الخضوع والاستجابة لمطالبهم الأمراء الترك، والسير وفق أهوائهم ورغباتهم وأسند أمر الملك كله الى واحد منهم هو وزيره اختيار الدين ايتكين الذي قبض على زمام الأمور في الدولة كلها دون السلطان ولم يلب ثان غضب السلطان من وزيره الذي جعله اسما فقط، فدبر السلطان مؤامرة لاغتياله ،وفعلاً تمكن من ذلك الامر الذي ادى الى نجاحها واسترداد رضية سلطانة(70). لكن ناصر الدين لم يستمتع بالانفراد بالحكم طويلاً، ذلك إن بدر الدين سنقر (أمير حاجب (سيطر على أمور الدولة مرة اخرى، كذلك تعرض السلطان لمؤامرة أخرى تستهدف خلعه، فقد انتهز التونيا) حاكم بتهندا (فرصة مقتل ايتيكين، وعول على المسير إلى دلهي، والتربع على عرش السلطنة(71). ولتحقيق ذلك استطاعت السلطانة الداهية أن تُميل قلب حاكم)بتهندا(إليها، فأعلن الزواج منها في سائر البلاد، وجرى ذلك مجرى الريح في سائر الأمصار(72)،من هنا يمكن القول بأنها حلمتْ باسترداد عرشها وبعودة سلطانها فعادت إلى استخدام سلاح جمالها وتُغْريه

بحكم مملكة دلهي حتى رضخ زوجها لمطلبها،الا وهو السيطرة على دلهي وما حولها من المملكة التي فقدتها، ورأى ان ذلك يعطيه الحق في تحقيق اطماعه الرامية الى الاستحواذ على السلطنة، فقام ورصد جيوشه الضخمة لأمر زوجته،وتقدم الاثنان الى دلهي[73]. فبينما هي وجيوشها في الطريق تسربت المعلومات سراً،إذ وصلتْ الأنباء إلى أخيها ناصر الدين ومن معه من النبلاء والأمراء والقواد وحكام مدينة دلهي، فاستنصروا قسم من أمراء الأقاليم ممن حولهم،تعاونوا على الخروج لملاقاة السلطانة وزوجها،والتقى الجمعان على مشارف موضع يقال له)كيتهل(ونَشَبَتْ الحرب الضروس بين الفريقين، إذ هُزم جيش السلطانة رضية الدين، بعد ان حرمت من عرشها ومن حبها معا.ووقع زوجها أسيرا في أيدي خصومه من المناوئين وفُقِدَتْ رضيةُ الدين بين أتون هذا المعترك فظل القوم يبحثون عنها بين الأسرى والقتلى فلم يعثروا عليها حتى يئسوا من الاهتداء.

عانت الامر كثيراً وحينما أيقنت بالهزيمة، لجأت إلى الهروب من أرض المعركة. فانطلقت بفرسها الى الغابات والحقول وإلى أبعد مكان تستطيع الوصول إليه كي تبتعد عن الانظار. وهامت على وجهها إلى أن وصلت إلى إحدى القرى النائية وقد بلغ بها الإعياء والجوع والعطش مبلغهما. فلجأت الى فلاح عاكفاً على حراثة أرضه وسألته القليل من الماء والطعام، فأسرع إليها بالخبز والماء وهو يظنها رجل فقير الحال مثله. فأكلت وغطت في النوم وهي في لباس الحرب. فنظر إليها الرجل ليكتشف أنها امرأة وليس رجلا لما انكشف قباؤها النسائي المرصع بالذهب من تحت درعها لما اثار فضوله واستغرابه وطمعه[74]. هنا استبد الطمع بالفلاح الفقير، وأراد أن يستحوذ على هذا القباء النفيس،فاستل خنجره وطعنها وهو لا يدري من تكون، وأخذ القباء ومن ثم دفنها في الأرض التي كان يحرثها وترك فرسها تهرب بعيداً. وانطلق بغية الحصول على هذه المجوهرات النفيسة إلى السوق ليبيع ذلك القباء. عندما رأى التجار ما لديه ثارت شكوكهم حوله.إذ كيف لهذا الفلاح الفقير صاحب الثياب الرثة بمثل هذا القباء المطرز بالذهب والذي لا يكون إلا من لباس الأميرات والملكات.الامر الذي دفعهم لقيادته الى الشرطة فاعترف

بجريمته ودلهم على الموضع الذي دفنها فيه. فأخرجوها من حفرتها وعرفوا أنها رضية الدين السلطانة الهاربة. فغسلوها وكفنوها وصلوا عليها ثم أعادوا دفنها في ذات المكان. وكان ذلك في(25 ربيع الأول 637 ه.(ولما علم الامر شقيقها السلطان ناصر الدين أمر بتشييد مدفن أو روضة تليق باسم أول سلطانة للهند في ذات البقعة التي قتلت فيها، وهو على شاطئ النهر المعروف بنهر الجون. وهي اليوم في ضاحية)سيتا رام بازار(قرب دلهي القديمة أو دهلي كما كانت تسمى. وقد أهمل أمر هذا الأثر الذي وضعت السلطات عليه لوحة تعريفية متواضعة بالسلطانة رضية بنت التمش فيما خصصت له بوابة، للحيلولة دون الاعتداءات التي طالت الضريح على مر العصور حتى لم يبق منه سوى شاهد القبر وبجواره شاهد آخر لا يعرف المؤرخون من يكون صاحبه فضلاً عن بقية المحراب المعقود الذي كان ملحقاً بالضريح. إقام بعض السكان المحليين بتحويل هذا القبر إلى مكان للعبادة، تقام فيه الصلوات الخمس من كل يوم[(75)].

ونالت فترة حكمها القصيرة الكثير من المديح من قبل الكتاب والرحالة الذين زارو الهند واطلعوا على اخبارها، لاسيما ابن بطوطة الذي اشاد بصفاتها العظيمة،إذ ذكر انهم لم أن يجدون فيها عيباً سوى أنها امرأة. ويبدو أن رضية كانت ضحية للظلم المنتشر في ذلك العصر، ولكنها أثبتت بشكل كبير أن لديها قدرات بصفتها حاكمة،وصفات الحاكم العادل إذ لم يسجلوا عليها انها ظلمت او استبدت بالاموال وهي افضل بكثير من كل الرجال الذين خلفوها.

الخاتمة

من خلال ما تقدم توصلنا الى جملة من النتائج وهي:

1- هي المرأة الوحيدة في التاريخ التي تم تتويجها بسلطنة دلهي وأول حاكمة مسلمة أيضا في جنوب آسيا.

2- تميزت السلطانه رضيه بانها كانت تمتلك شخصية قوية فذه تتمتع بصفات طيبة لاسيما من رجاحة العقل، وشجاعة النفس، والذكاء، فضلاً عن حفظها القرآن الكريم وعلوم الفقة الاسلامي.

3- تمكنت رضية بنت التمش خلال فترة حكمها من توحيد البلاد(الجيش والمجتمع)، وادارة شؤون والعباد بكل ما اوتيت من قوة كونها لم تفعل أمراً يغضب الناس عليه، إلا ان القادة والامراء كثيراً ما يريدون حكاماً قادرين على عزلهم متى شاؤو.

4 - اثبتت السلطان رضية ان لها قدرات بصفتها حاكمة أكثر بكثير من كل الرجال الذين خلفوها.

5 - ذكر اغلب المؤرخين ومنهم)مينحاج، وباراني،وفيريشتا(تميزها بصفات عظيمة وعُدت من الرجال الحكماء ولا يجدون فيها عيبا سوى انها امرآة حينذاك.

الهوامش والتعليقات

(1)الحسني، الإعلام،ج1 /ص99.

(2)الجبوري، النساء الحاكمات من الجواري والملكات، ص108.

(3) كحالة، أعلام النساء، ج1/ص 448؛الحسني،الأعلام،ج1/ص 99.

(4)الجبوري، النساء الحاكمات من الجواري والملكات، ص108.

(5) ابن بطوطه، رحلة ابن بطوطة، ج 3/ص، 121 .

(6)كحالة، اعلام النساء، ج3/ص76.

(7)الحسني، الإعلام،ج1/ص100.

(8) المصدر نفسه، ج1/ص99.

(9) براكريتي غوبتا، اول حاكمة مسلمة في جنوب اسيا، ص4.

(10)كحالة، اعلام النساء،ج3/ص770

(11)براكريتي غوبتا، اول حاكمة مسلمة في جنوب اسيا،ص4.

(12) الحسني، الإعلام، ج1/ص980.

(13)الجبوري، نساء حاكمات، ص188

(14) الحسني، الإعلام، ج1/ص98.

(15) قطب الدين ايبك: كان مُقدَّما للجيوش لدى السلطان المعظم شهاب الدين محمد بن سام الغوري سلطان غزنة وبلاد خراسان، بعد تغَلُّبه على ملوك وأمراء سلالة السلطان المجاهد محمود بن سُبُكْتُكِين،الذي كان من أول قاد الجيوش لتلك الفتوح الإسلامية في شبه القارة الهندية ؛ ابن بطوطة،رحلة ابن بطوطة،ج 3 /ص 119 ؛ الحسني: الإعلام، ج 1/ص 115

(16)ملكة جهان: مركب من (ملك-ملكة) و(جهان: العالم) أي ان جهان من ملكات

الهند.قاموس معاني الاسماء

(17) زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي،ص 424

(18) الساداتي،احمد محمود،تاريخ المسلمين ج 1/ ص 123- 122.

(19) الفقي،بلاد الهند في العصر الإسلامي، ص 54.

(20) ابن بطوطة،رحلة ابن بطوطة،ج 3/ص 121 ؛الهروي، المسلمون في الهند،ج3/ص22.

(21)ألحسيني، الاعلام، ج1/ص99.

(22)ناظر المظالم:هي إحدى وظائف الدولة، وتختص بالنظر في المظالم وردها إلى أصحابها.

قال الماوردي: ونظر المظالم هو قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة. فمدار الأمر في العمل بهذه الولاية قائم على قوة السلطان ومنعته، ولذا يشترط في الناظر في المظالم: أن يكون جليل القدر مهابا، نافذ الأمر، ظاهر العفة، قليل الطمع، كثير الورع، لأنه يحتاج في نظره إلى سطوة الحماة وثبت القضاة، وإذا كان الناظر في المظالم ممن يملك الأمور العامة كالوزراء والأمراء لم يحتج النظر فيها إلى تقليد وتولية، فإن كان ممن لم يفوض إليه النظر العام احتاج إلى تقليد وتولية. يقول ابن خلدون في بيان هذه الوظيفة: النظر في المظالم وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء، وتحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر ناظر المظالم أقوى يدا وأنفذ أمرا، فينفذ الحكم على من توجه إليه بانتزاع ما في يده، أو بإلزامه الخروج مما في ذمته.الماوردي،الأحكام السلطانية، ص882.

(23)المغول هم قبائل كبيرة يمثلون شعب بدوي سكان براري،وهم رعاة عاشوا على السهول الواسعة في الهضبة الاسيوية التي تمتد من اواسط آسيا جنوبي

سيبيريا وشمال التبت وشرقي تركستان.وكان معظمهم من الوثنين ومن عبدة قوى الشر،وقد عرفوا في حروبهم باللؤم والغدر ونقض العهد واراقة الدماء وسلب كل شيء. الصياد، المغول في التارخ،ص345.

(24) العريني، المماليك، ص29؛ روبي، الهند في عهد المغول، ص96.

(25) الساداتي،تاريخ المسلمين،ج1،ص198.

(26) المستنصر بالله:أبو جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد ابن الناصر لدين الله أحمد العباس أمير المؤمنين، استقر في الخلافة وعمره عشرون سنة، كان حازماً عادلاً، وفي أيامه عمرت بغداد عمارة عظيمة، وبني بها المدرسة المستنصرية، وفي أيامه قصد التتر بغداد مات الخليفة المستنصر بالله يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة، وكاد سبب موته مسموم. فكانت خلافته سبع عشرة سنة وشهر، وكانت مدته خمس عشرة سنة وأحد عشر شهراً وخمسة أيام، وله من العمر إحدى وخمسون سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام. المقريزي، السلوك،ج1 / ص67؛ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج1/ص431؛العيني،عقد الجمان،ج1 /ص49؛ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج4 /ص144

(27) الفقي، بلاد الهند في العصر الإسلامي، ص 59 ؛ الجبوري، النساء الحاكمات من الجواري والملكات،ص 105؛ الساداتي،تاريخ المسلمين، ج 1 /ص 125

(28)ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج 3 /ص 121.

(29) ابن بطوطة، المصدر نفسه، ج1/ص 121 – 122؛الحسني، الإعلام، ج 1/ص 103

(30) الحسني، الإعلام، ج 1/ص 103 ؛ الفقي، بلاد الهند في العصر الإسلامي،ص 60

(31) ابن بطوطة،رحلة ابن بطوطة،ج 3/ ص 122.

(32)الفقي،بلاد الهند في العصر الإسلامي،ص 61.

(33) الجبوري،النساء الحاكمات من الجواري والملكات،ص 106.

(34) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص370؛ الحسيني، الاعلام،ج2 /ص385

(35) الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج1/ص130

(36) النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص55

(37)هي مدينة مجاورة لبلاد الهند،وتسمى فرج بيت الذهب، وبها صنم يعظمه أهل الهند ويحجون إليه من أقاصي بلدانها ويتصدقون عليه بأموال جمة وحلي كثير وطيب وشيء يقصر الرصف عنه تعظيما له وإجلالا وله خدام وعباد يأوون إليه وينفقون ويلبسون من ماله المتصدق به عليه،وسميت الملتان باسم الصنم. المقدسي،أحسن التقاسيم في معرفه الأقاليم،مج2/ص ٧٠٣، ٧٠٦؛ادريسى،نزهه المشتاق في اختراق الآفاق،مج ١/ ص ١٧٧-١٧٥؛ياقوت الحموى،معجم البلدان، مج ٥/ ص 189، ٢٢٧.

(38) الهروي،المسلمون في الهند، ص12.

(39) الفقي،بلاد الهند في العصر الإسلامي، ص 61 ؛ الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم،ج 1 /ص 130

(40) كحالة،أعلام النساء، ج 1 /ص 448

(41) ابن بطوطة،رحلة ابن بطوطة، ج3 /ص122

(42) الفقي،بلاد الهند في العصر الإسلامي،ص61؛الجبوري،النساء الحاكمات، ص 106.

(43) السراج، طبقات ناصرية، ج3 /ص72.

(44) ابن بطوطة،رحلة ابن بطوطة، ج 3 /ص 122.

(45) اسوك، النساء الحاكمات، ص135.

(46) ابن بطوطة، رحلته،ج3 /ص123.

(47) كحالة، اعلام النساء،ج 3/ص76.

(48) النجرمي، العلاقة السياسية والثقافية، ص125.

(49) الحسني،الاعلام،ج1 /ص99.

(50) كحالة، الاعلام،ج3 /ص450.

(51) الفقي،بلاد الهند في العصر الإسلامي، ص 62 – 63.

(52) المصدر نفسه،ج3 /ص451

(53)النجرامي، محمد يوسف، العلاقة السياسية والثقافية، ص125.

(54) شاكر، محمود، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج7 /ص 218.

(55) الجبوري، النساء الحاكمات، ص107.

(56) الجبوري، المصدر نفسه، ص 108؛ كحالة، أعلام النساء، ج1/ص450

(57) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج2 /ص369 ؛الفقي،بلاد الهند في العصر الإسلامي، ص63.

(58) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج2 /ص369

(59) كحالة، إعلام النساء،ج1 /ص448

(60) التركش: جعبة كنانة السهم – القربان: الجلساء، جليس الملك وخاصته لقربه منه: ابن منظور، لسان العرب،ج 3 /ص 3567 ؛ دوزي،تكملة المعاجم العربية، ج 2 /ص 38.

(61) ابن بطوطة،رحلة ابن بطوطة،ج 3 /ص 122 – 123 ؛ الجبوري،النساء الحاكمات من الجواري والملكات ص 108.

(62) كحالة،أعلام النساء،ج 1 /ص 449.

(63) الجوارنة،المعارك الإسلامية في الهند، ص 51.

(64) البدايوني، منتخب التواريخ،ج1 /ص121.

(65) البخاري، صحيح بخاري،ج8 /ص126.

(66) الفقي، بلاد الهند في العصر الإسلامي، ص 62.

(67) كحالة،اعلام النساء،ج1 /ص449.

(68) كحالة،أعلام النساء،ج 1 /ص 448..

(69) المصدر نفسه،ص 63.

(70) المصدر نفسه ص 63.

(71) ابن بطوطة، تحفة النظار,ج 3 /ص 123.

(72) كحالة،أعلام النساء، ج 1/ص 450 – 451.

(73) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج2/ص368.

(74) السقاف، الموسوعة التاريخية،ج3/ص176.

(75) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج2/ص322.

قائمة المصادر:

- ابن بطوطة،أبو عبد الله محمد بن عبد الله)ت: 779 هـ / 1377 م)

- (رحلة ابن بطوطة(المسمى تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ط2،دار الكتاب اللبناني بيروت1997-م)

- البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل

- صحيح بخاري، دار ابن كثير،(مصر- 1993م)

* الحسني،عبد الحي بن فخر الدين (ت1341هـ)

-الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام « نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر « دار ابن حزم – بيروت (-1999

- العيني، بدر الدين محمود بن احمد (ت855 هـ 1451 م)

-عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: حسن حبشي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،(القاهرة 1969م)

- الماوردي،أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب،الأحكام السلطانية والولايات الدينية،مطبعة المصطفى،(القاهرة-1960م (،ص882

- المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت 845 هـ / 1441 م)

- السلوك لمعرفة دولة الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- 1997)

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711م)

- لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف،(القاهرة -1968)

قائمة المراجع

- البدايوني، عبد القادر

-منتخب التواريخ،تصحيح احمد علي،(طهران-1992)

*الجبوري،يحيى وهيب:

- النساء الحاكمات من الجواري والملكات، ط1، دار مجدلاوي(عمان 2010 –م)

- الجوارنة، احمد محمد

المعارك الاسلامية في الهند،جامعة اليرموك،(الاردن-د.ت)

- دوزي، رينهارت :

-تكملة المعاجم العربية، تعليق: محمد سليم النعيمي، دار الرشيد (د.م1980 –م)

- روبي، لال :

-الهند في عهد المغول، ترجمة:عثمان مصطفى عثمان،)د.م-د.ت)

- زامباور:

-معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، أخراج: زكي محمد حسن بك و حسن احمد محمود، دار الرائد العربي ((بيروت- 1980م)

- الزركلي، خير الدين:

- الإعلام، دار العلم للملايين، ط4،)بيروت-(1979م

- الساداتي، احمد محمود:

-تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، مكتبة الآداب، (القاهرة -1957 م)

- السقاف، علوي عبد القادر:

- الموسوعة التاريخية،(بيروت1433-هـ)

- شاكر، محمود:

-موسوعة التاريخ الاسلامي) العهد المملوكي (المكتب الاسلامي، ط5(مصر-2000م)

- الصياد، فؤاد عبد المعطي:

-المغول في التاريخ، دار النهضة،(بيروت-1980م)

- العريني، السيد الباز:

- المماليك، دار النهضة العربية،(بيروت-1967م)

- الفقي، عصام الدين عبد الرؤف:

-بلاد الهند في العصر الاسلامي منذ فجر الأسلام حتى الغزو التيموري، عالم الكتب،(القاهرة 1980-م).

- كحالة، عمر رضا:

- أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، مؤسسة الرسالة، (بيروت -1957م)

• النجرامي، محمد يوسف :

-العلاقات السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية، دار الفكر،(بيروت1399هـ)

• النمر، عبد المنعم :

- تاريخ الإسلام في الهند،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر(بيروت-1981م)

• الهروي،أحمد بخش :

- المسلمون في الهند،ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلي، الهيئة العامة للكتاب (القاهرة-1995م)

الصحف والدوريات

- براكريتي غوبتا، رضية سلطانة الامبراطورية التي حكمت دلهي)اول حاكمة مسلمة في جنوب اسيا - الشرق الأوسط(جريدة العرب الدولية)، الاحد 17 ربيع الثانـى 1433 هـ 11/ مارس 2012 العدد 12157.